تموز جديد !

بقلم محيي الدين اسماعيل

« الى ي. م. التي تركتها في بغداد .. تنتظر ميلاد تموز جديد »

.. أنت تذكرين ولا شك !
كانت مدينتنا تستجدي الخبز من بيت لبيت ،
وعجلات الزمن تتهشم بجنون أبدي .
على شوارع مدينتنا .
وكنا نريد أن نسرف في الكراهية ،
ونسرف في احتقار الذات .
كنا نرفض التبتل من أجل مدينتنا الجائعة ،
وهي تستجدي الحياة في ظل الموت .
كانت مدينتنا الغافية الفارغة ،
تستلقي على شاطيء الفرن الجهنمي ..
وكانت على الشاطيء رمال تحترق .
إما نحن فكنا نحرث الرمال الجهنمية من أجل حياة،
حياة نستجديها وليست لنا .
ولكن انفاسنا كان يرتعد منها الفرن الجهنمي...
كان الفرن الجهنمي يلهث .
وكنا نواجه يومذاك صخوراً من اللهب ،
وحفرا من الزفت والقطران ،
وقلاعا من جليد .
كان الفرن الجهنمي يلهث بوجوهنا ،
وتزحف علينا من جوفه سراطين شنيعة ،
تمد بخراطيمها الحمراء،
وتزحم مدينتنا الجائعة ،
فيشيع بيننا فزع غريب ،
وتفعم البيوت بالروائح الكريهة .
وتتوالى علينا الزلازل ،
فتتدفق بحيرات من نار في كل مكان ،
ويسود الطوفان شوارع مدينتنا ،
فتستحيل الى متاهة متشابكة ، كمتاهات الجحيم .
طواحين .. عجلات وصنارات مسمومة ،
تصطاد الجميع ليلتهمها الفرن الجهنمي الجائع .
كنا نريد الخلاص من انفسنا ،
وقد عادت جزءا من آهة ممتدة طويلة .
ونمد بأبصارنا فلا نرى غير عقبان وغربان ، ترتعد في السماء لتقيم على جثثنا حفلة من حفلات الليل .
كنا نرقب مواكب الموت ،
تسير بعجلات تتخبط بالدم ،
وكانت هناك اصوات تنبعث ،
من افواه كانها فتحات الجحيم .
والشمس قد انطفأت عينها ،
وسال منها قيح دام يتساقط قطرات على الارض .
ويختلط القيح الشنيع مع مياه مدينتنا ،
وهي غافية ، جائعة تتلوى .
كنا نسير مع موكب الموت بلا ظلال ،
لان النور هو مبدع الظلال .
فقدنا كل شيء ، حتى ظلالنا ،
بعد ان تفيحت عين الشمس وانطفأت .
اناس بلا ظلال !
وعلى الشاطيء الجهنمي كنا نجتمع صامتين ..
وكانت تتردد علينا هناك أشباح مجهولة ،
تبدو شاحبة صفراء ،
كانها اشباح أولئك الشهداء،
تتدلى من صلبانها كعناقيد الرعب ،
بوجه الظلام .
كنا نسمع اصواتا تقول :
« اغرقوا في النوم على الشاطيء ، حتى تحترقوا بتياره اللاهب ..
الويل والدمار لك أيتها المدينة الملعونة ،
التي لا تظللها الشمس ..
الكراهية تنتصر !..
مأساة مدينتكم الملعونة ! »
أنت تذكرين ذلك ، ولا شك .
كنت احتضنك بين يدي واقول :
« الكراهية لن تنتصر »
وتقولين : « وهل ينتصر الحب في قفص من حديد ؟»
ثم يغمرنا الصمت والانتظار !
ولم يعد يهزنا شيء سوى الصمت والانتظار :.
الظلام ينمو في مدينتنا ،
وكنت أرى من وراء سجف الظلام،
دموع عينيك كاللآلىء البحار المهجورة مع الاسفنج ..
كل شيء فقد شكله واستحال الى عماء ،
الا دموع عينيك كاللآلىء البحار المهجورة ،
وسط ظلمة العماء .
ومن اعماق قبورنا القلقة الموحشة ،
كنا نتحدث عن فجر وردى ،
وعن ظلام النور ،
بعد ان نمنا مع الغربان ،
وغفونا تحت مقصلة العبيد ،
وبعد ان قضمت الجرذان أشجارنا ،
وطاردنا الاثم ،
وطرق الموت بابنا ثم أقعى امامه ،
مع العقارب والافاعي والذئاب .

زهرة .. الى فيروز

أحس يا صديقتي البعيده
بصوتك الملون ،
يحملني
على جناح القمر المورد
للابعـد ...
لغيمة زرقاء
في ظلها يبترد المساء
مستلقيا نخيمة انتشاء
آفافها الصحو الذي يهيم
مع العصافير الى كروم
ثمارها النجوم
أشواقها نافورة الخمور والعطاء ..

*

سفيرة الانسان للانسان
أحس في نبراتك الامان
أشعر بالكادح ... بالانسـان
يشدني اليه في ايمان
في الليل .. واللهيب .. والاحزان
في موسم الفرحة والحنان
وينزع الاشواك والصلبان
من دربنا الطويل
فالقيد والاهوال والاحقاد
مذعورة .. حقيره
تصفعها امواج اغنياتك الصغيره
يطوف بي صوتك في الكروم
على حدود القمر
في الانهر
يتركني هناك في الضباب ... في الجبال
على رؤى خيال
راعية .. حالمة .. جميله
تعشقها المروج ..
تسكر من خطواتها الدروب
تاتي مع الغروب
بالحب والغناء والطيوب ..
صديقتي القريبة البعيده
المح في صرخاتك الجزار
بالاعين الحمر وبالسكين والاظفار
يمزق الاطفال والازهار
ويصبغ النهار
بالدم والاحقاد والالام
والمح الشعوب
في حبها الغضوب
قبضاتها تدحرج الحروب
وتطأ الاظفار والانياب
وتفتح الابواب
للحب .. للصباح .. للسلام

بيروت — **رفيق الخوري**

ونتساءل صامتين :
« متى تتداعى مملكة اللهب ؟ »
ثم نقول : تموز اله الخصب من جديد ،
سينبعث من رماد مدينتنا النائمة .
من اعماق تموز الخالد
الذي لن تميته الجراح ،
ستخرج مدينتنا ،
ونخرج معها ،
وعلى شفتيك ظلال من ارجوان ..
الكل يبكي في صمت من أجل شيء لا يعرفونه ،
ومن أجل كل شيء .
ولكنهم سيعرفون ،
وستندمل جراح تموز التي تنز دما ،
في ظلام الليل .
ستعود مدينتنا حقلا من حقول تموز...
تموز اله الخصب والسخاء ،
رفيق عشتار
سنابله حية
وهيكله فسيخ
والقمر يمسح عن امه الشمس
دموع الحزانى .
ويومئذ لن تعود مدينتنا ،
قطرانا يتقد ،
بل ينابيع كعين الطاووس
ومن اعماق تموز
سنخرج من جديد ،
يدا بيد ! »

القاهرة — **محي الدين اسماعيل**